المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 19A1 كانون الاول 2025
No.19A Dec. 2025

أزمة الشخصية المثقفة في رواية بريد عاجل

Ashwaqghazi60@gmail.com
أ.م.د اشواق غازي الياسري
جامعة البصرة/ باب الزبير/كلية التربية للبنات

الملخص

تأتي دراسة أزمة الشخصية المثقفة في الرواية في ضوء تحديد الازمات الداخلية والخارجية التي يواجهها المثقف ، بمختلف تصنيفاته . وبما ان الأزمة و الشخصية والمثقف هم العناصر الأبرز في هذه الدراسة جرى الوقوف عندها تأسيسا لبيان الوعي بحقيقة هذه المخاطر وأثرها على المثقف والكشف عن توجهاته .إن تأثير أي ازمة مهما كان نوعها على الشخصية سوف ينعكس بصورة واضحة من خلال دورها الفاعلي المناط لها من قبل الكاتب بصرف النظر عن مرجعياتها الواقعية والمتخيلة . لقد تمكّن الروائي خليل صويلح من الكشف عن الأزمات التي تمرَ بها الشخصية المثقفة حيث جاءت الازمة تطبيقا أجرائيا على صعيدين / خارجي ، داخلي فابانت عن المشاكل والصراعات والأزمات الذاتية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، لتظهر حال الشخصية وما يعتمل فيها من تداعيات ومخاوف تجلت عبر تمثيل السلطة والمجتمع والأخر في نسيج سردي حاكه الكاتب بأسلوب فني أظهر مقدرة ابداعية في مزج التصوير بالمحاكاة لخلق تأثيرات مقنعة وواقعية أو متهكمة ساخرة.

الكلمات المفاتيح : الازمة ، المثقف ، الشخصية ، الرواية

The Crisis of the Intellectual Character in the Novel Urgent Mail

Ashwaqghazi60@gmail.com
A.P.D. Ashwaq Ghazi Al-Yasiri
University of Basra/Bab Al-Zubair/College of Education for Girls

Abstract

This study examines the crisis of the intellectual character in the novel in light of the internal and external crises faced by intellectuals of various classifications. Since the crisis, the character, and the intellectual are the most prominent elements in this study, they were examined in order to establish an awareness of the reality of these dangers and their impact on intellectuals and to reveal their orientations. The impact of any crisis, regardless of its nature, on the character will be clearly reflected through the active role assigned to it by the writer, regardless of its realistic and imaginary references. The novelist Khalil Suweilih was able to reveal the crises experienced by the intellectual character, where the crisis came as a procedural application on two levels: external and internal, revealing the problems, conflicts, and personal, social, political, and economic crises, revealing the character's situation and the repercussions and fears that manifested themselves through the representation of authority, society and others in a narrative fabric woven by the writer in an artistic style that demonstrated his creative ability to blend description with imitation to create convincing and realistic or sarcastic and ironic effects.

Keywords: crisis, intellectual, character, novel

مفهوم الازمة

مدخل

يواجه الانسان اليوم في عصر الثورات الصناعية والتكنو معلوماتية تحديات كبيرة على سبيل "المعرفة والثقافة والوجود" ، تجعله امام أزمة حقيقية و مشاكل معقدة وضغوط هائلة تنبأ بتغيير العالم على كل الأصعدة واختلاف التوجهات في الدول الكبرى والدول النامية ذات الطبيعة الاستهلاكية ،وما ينعكس من كل ذلك على البشرية عامة والفرد بشكل خاص من أزمات ومشاكل تنأى به تأثيراتها بعيدا عن الحل ، فأما يتراجع مختارا العزلة أو يلتزم ويكون خاضعا للسلطة فيفقد على أثرها مصداقيته. وهذا يخلق صراعا بينه وبين مخاوفه من خسارة الشارع ومواجهة تحديات كثيرة أولها المجازفة التي تضع سلطة الفرد بمختلف "عناوينه " في كفة والتحديات التي تضغطه بمختلف اشكالها في كفة أخرى ، الامر الذي يدعوه الى التغيير ومحاولة التكيف .

الازمة في اللغة

يتجلى للدراس عند تتبع دلالة الازمة لغوياً عمق المعنى الذي تنطوي عليه اللفظة عبر تراكم أجيال كثيرة من التاريخ على ولادتها ، فقد ذهبت المعاجم الى شرح اللفظ من جهة حسية ومعنوية عبر تتبع دلالة الالفاظ ، الازمة ، اللزبة ، وزمة ،ازم العيش ، ازم الزمان ، الازبة .، الاوزام .. الخ وهي لا تخرج عن دلالة بؤس ،ضيق ، شدة العض ، شدة القحط ،عسر، محنة ، تأزم ، شظف العيش ، سنون شدائد .[1]

الازمة في المصطلح

تعرف الأزمة ، بانها المواقف أو المشاكل التي تواجهها الجماعة أو الافراد أو الأسرة والتأثير الذي يقع تحته الانسان مواجها لموقف ما أو حدث ما ، يضطره إلى أعادة النظر وتغيير رؤيته ومحاولة التكيف مجددا مع المحيط الخارجي ومع نفسه أو الاثنين معا [2].

ومن المنطلق ذاته جاءت الازمة في الفكر النقدي والفلسفي تعبيرا عن أي انفصال او انقطاع عن حالة مألوفة او سوية او مستمرة ، وكل انقطاع عن أي شيء طبيعي ومألوف من شانه ان يخلق اضطرابا ، وصعوبة بالغة في المواجهة اذا لم يستطع الانسان او المجتمع التكيف معها ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة للتغلب عليها . ان عجز الانسان والمجتمع عن مواجهة هكذا ظاهرة محددة يخلق ما نسميه اليوم بالأزمات [3].

امّا الازمة في الادب فهي مشكلة تطرح من قبل الكاتب قد تؤثر عليه ذاتياً او مجتمعياً ويقوم بعرضها او ربما تكون حالة عامة يريد ان يطرحها ويعالجها في الوقت ذاته. بينما يرى الناقد الفرنسي رولان بارت بان اوقات الازمة تمثل ازديادا مستمرا في الكتب و الموضوعات، اما في الرواية فتكون عندما يبدو الكاتب مضطرا الى طرح تلك الازمة التي شغلت فكره لذلك انعكست في ثقافته انعكاساً تاماً. [4] ولو تتبعنا الازمات التي حصلت لبعض الكتّاب لوجدناهم قد مروا بأزمات مختلفة بحسب طبيعة الازمة وما تفرضه عليهم من تداعيات؛ فمثلا قد تكون في عالم متحفظ وبرجوازي ، إيمانية كما عند "فكير كجارد" او عدمية كما عند "نيتشة " ، أو علوم أوربية كما لدى "هوسرل" او النسيان للكينونة لدى "هايدجر " أو علوم انسانية لدى "فوكو" وقد تبدو الازمة في سيطرة وهيمنة الطبيعة والأداتية العقلانية . ومهما كان القصد مما تقدم ، يمكن القول بان الازمة توقظ الوعي النقدي ، كونها تأملا نافذا تجاه الثقافة والتاريخ والمجتمع [5].

الشخصية في الرواية

تمثل الشخصية الروائية نواة النص الادبي وعلى الرغم من كونها ابداعا متخيلا وكائنا ورقيا متعدد الانواع تنبثق من عدة مراجعات يبدو فيها الروائي حرا في الايحاء عند المبالغة أو الاضافة وايداعها روحا قصصية من حيث التصوير والابراز التكويني، فيبتدع حياة مماثلة للواقع على سبيل التجاور وليس التكرار.[6]

الشخصية الروائية بصرف النظر عن كونها متخيلة او لها مرجعية واقعية هي خيالية متخيلة ولدت في فكر كاتبها. فالكاتب حر في اختيار النوع الذي تنتمي اليه (رئيسة- ثانوية- هامشية - مسطحة...) وهو حر أيضا في تكوينها ونموها وتطورها.

تتمظهر الشخصية في الرواية عبر ثلاثة أدوار "فاعلي وتمثيلي و غرضي" يبدو الاول في الفواعل الستة وانتماؤها للشخصية ويظهر الثاني بما ينهض به من دور فاعلي بغض النظر عن العدد الفعلي للمتمثلين وبما يبدو عليه من شكل انساني أما الاخير فيقع على عاتقه تحديد الدور النفسي الاجتماعي الثقافي الذي يتعلق بالشخصية . [7] ان هذه الأدوار الثلاثة تكشف عن كل ما يحيط بالشخصية من فاعلية مع بقية الشخصيات والتداخل والعلاقات التي تحدد طبيعة الشخصية، والدور التمثيلي يتجسد في ديناميتها على طول الرواية وتشخيص حراكها مع بقية الممثلين في العمل الادبي، والغرض من وجودها في مجتمعها. وتبدو هذه الادوار مكملة بعضها مع بعض في نسيج يرتبط ارتباطاً وثيقاً ببقية العناصر السردية.

ويشترك في صياغة النص مؤثر خارجي كما في " حادثة " ومؤثر داخلي كما في " تخيل " فتبدو العلامات لاحد المؤثرين على الاخر ويكون النص متخيلا أو واقعياً ويظهر أحدهما في الاخر "خيالي في "واقعي" و" واقعي" في "خيالي "، بشكل يظهر من خلاله النص كظاهرة فكرية [8].

وهذه الظاهرة مرجعيات الشخصية اذا أخذت من الواقع او اذا كانت متخيلة بصورة كاملة فان الحدث يؤثر فيها وتتأثر به تأثيراً ظاهراً . ونحن نستطيع ان نحكم على مدى واقعية النص من خلال الشخصية ذاتها.

المثقف في اللغة والاصطلاح

يتساءل الكثير منا حول دلالة هذه الكلمة ومفهومها ، وكيف اصبحت مفردة تتميز من خلالها الملكة التي يحملها بعض الافراد في المجتمعات المتحضرة ، حتى ان البعض راح يبحث عن المعنى الجامع لها في معاجم اللغة وعن المواضع التي وردت فيها في القرآن الكريم بوصفه مرجعا أوليا للغة الفصحى عند العرب الاوائل الذين اشتهروا بالفصاحة والبلاغة فنزل القرآن بلغتهم . حيث ترددت في مواضع مختلفة من سور القران الكريم في لفظ قريب منها (ثقف) ، [9] وجاءت في معاجم اللغة ، ثقف ثقوفه وثقفا وثقافا للشيء ، ويقال رجل لقف ورجل ثقف اذا بدا قائما ضابطا لما يحويه، وقد تعني ثقف الشيء سرعة تعلمه او الحذق والظفر به . وثقف ثقافة هو الخفيف الفطن .و ثقفه أخذه و صادفه أو سماع الشيء و ادراكه.[10] وثقف الرمح قوّمه واصلحه فمن هذا اللفظ تحديدا اشتق العرب ثقاف ، بوصفها ألة لتقويم المعوج من الرماح والاقواس . من هنا وصفت الرجال بالثقف اذا ظهرت منها الحذر والسرعة في الطعن ،[11] وكلها صفات تؤكد الجودة من (حذر وفطنة وسرعة ادراك للاشياء) التي يكون عليها الشخص بين اقرانه أو في ميادين القتال . واذا انتقل البحث في دراسته لمعنى (مثقف) إلى قواميس المعنى الرقمية حديثا يلحظ فضلا عن المعاني السابقة اضافة تفاصيل أخرى لمدلول الكلمة صرفيا وكذلك في حقل سياقها مجتمعيا. فكلمة "مثقف "بضم الميم أسم مفعول أما ثقف بضم الميم وكسر القاف فاعل من كلمة " ثقَف" وتثقيف مصدر من ثقف وهنالك ايراد لاشتقاقات أخرى من ذات الكلمة (تثقيف ، تثاقف ، تثاقفوا ، مثقف ،تثقيف بلد ،تثقيف ذات) وكلها معان تدل على سياق حضاري يتعلق بتبادل المعارف والفنون في حقول اجتماعية وثقافية معينة .[12] وهي بحسب ما تقدم إشارة حديثة لتطور واتساع مدلول الكلمة واضافتها إلى سياقات أخرى تتعلق بنسيج المجتمع الحديث ودراساته وهذا مالم يرد قبلا في قواميس اللغة

تشير الدلالة الاصطلاحية للمثقف اليوم وسط هذا الكم الهائل من مؤلفات الغرب والعرب الى تعلقها بدور اخر يتصل بالأثر والتفاعل ، بين الحضارات والمجتمعات فهي بحسب ما تقدم مصطلح اشكالي غائم نوع ما . قد يتعلق بالالتزام الذي يؤديه المثقف أتجاه نفسه وأتجاه مجتمعه، بوصف رؤية كونية، يحرص على نقلها للمتلقي " أوارد سعيد " في كتابه (صور المثقف) حيث يتساءل ، ما أذا كان المثقفون نخبة أو فئة من الناس كبيرة جدا .حيث ينتقل في مقدمة الفصل الاول من كتابه للحديث عن اشهر اوصاف اطلقت على المثقف في القرن العشرين . ولم يجد أفضل من الاستشهاد بمقولة للإيطالي ذي الاصول الماركسية ، انطونيو غرامشي ــ وهو عالم في حقل فقه اللغة وسجين سياسي مناضل سجنه موسو ليني لسنوات امتدت بين الاعوام 1926 و1937ــ وقد كتب في مذكرات سجنه ،[13] مبينا الفرق بين ان يكون الفرد مثقفا وبين التزامه بالثقافة كوظيفة قائلا ((كل

الناس مثقفون لكن ليس لهم كلهم ان يؤدوا وظيفة المثقفين في المجتمع))[14] وهنا يؤكد غرامشي ، أمتياز الثقافة بوصفها سمة عامة يمكن ان تتاح لمن يرغب بها من الناس بخلاف الوظيفة التي تجعل منها التزاما يميزها ، فيجعل من واجبات المثقف الإخلاص والتحلي بالقوة والشجاعة خدمة للمجتمع الذي ينتمي اليه . وفي هذا تعزيز لا واصر واخلاقيات العلم الذي يحمله . ومن المفيد الاشارة ونحن نتحدث عن واجبات المثقف التأكيد على ان حداثة هذه المفردة ، لا ينفي تطور مدلولها وتطوره عبر الاجيال لسعة مداها التاريخي في طروحات المفكرين الذين عنوا بالدراسات الثقافية والمجتمعية ضمن سياقات متعددة حتى ان إدوارد سعيد كمفكر عربي رائد عُني بالدراسات الثقافية المح في كتابه السابق الذكر "صور المثقف " الى دراسات كثيرة بدت في اغلبها لمؤلفين غربيين . وقد تحدث في فصل اخر من كتابه ما يؤكد ويدعم مقولة غرامشي الانفة الذكر والتي افتتح بها كتابه ،عندما اشار الى كتاب مشهور لـ(جوليان بندا) معنون بـ(خيانة المثقفين) وفي هذا الفصل يتكلم عن دور الهيمنة الاممية في التضيق الاقليمي على المثقف الذي يمثل هوية البلد كوجه ولغة بينما تحدث في مبحث اخر عن المنفى الفكري وفيه تعليق صغير، "مغترب وهامشي " .[15] وهنا نعود الى بداية الحديث عن أزمة المثقف و الأثر الذي يتركه عجزه عن مواجهة العالم ومواجهة نفسه او الاثنين معا وأثر ذلك في العزلة والتهميش .

وبما ان مفهوم مثقف ، مفهوم مستحدث بأجماع الباحثين بوصفه مصطلحا مترجما من القرن التاسع عشر في أوربا نستثني الحديث هنا عن البدايات التاريخية ، [16] له لاتساع عدد المؤلفين الذين كتبوا في هذا المضمار ، ومن الجدير بالذكر وبحسب الدراسات الحديثة فان ظهور هذا المصطلح عند العرب كان بسبب اتصالهم بالغرب . [17]

ان اختلاف المجتمعات له الدور والاثر الكبير في تنوع واختلاف مصادر الثقافة ووسائلها وهذا بدوره ينعكس تماما على المثقف وعلى الخبرة التي تتوفر لديه ،فليس بالضرورة ان تكون مصادر الثقافة متعلقة بما كتب ودوّن او قيّد بوسائل الاتصال المرئية فهناك نوع من الخبرات تتشكل للأفراد من معرفتهم بالحياة اليومية وهم بهذا يكتسبون نوعا جديدا من الخبرات يتعلق بالمعيشة وخبرتها وليس له صلة او ارتباط بالمؤسسة التعليمية كدليل على تنوع المصادر المعرفية .[18] في المجتمعات باختلاف مراحلها التاريخية وشيوع هذا النوع من الخبرات أدى الى بروز ما يسمى بالمثقف الخبرة وهو نوع ملتزم بقضايا المجتمع واسير لواقعه المحلي الامر الذي يمكنه من العيش مع اقرانه دونما معاناة من اغتراب الثقافة [19]

وبحسب المواقف التي اتخذتها الشخصية المثقفة من الغرب سواء كانت إيجابية من خلال التمسك بهم أو سلبية من خلال رفضهم والتمسك بالتراث أو الانتقائية بالرجوع للاثنين معا فان (الشخصية المثقفة) عانت من أزمات متعددة ، بدت في الفريق الأول ازمة اغتراب والثاني أزمة عصرية اما الفريق الثالث الذي حاول الانتقاء من الاثنين فقد كان اقل منهما في الاغتراب واكثر في التماسك . فضلا عن الازمة الفكرية والواقعية الناجمة من اعتراض الشخصيات المثقفة لمسائل متعددة دون معرفة منها والمام .[20]

ومن خلال ما تقدم يمكن أن يقسم المثقفون من أصحاب الشهادة العلمية الى أنماط ثلاثة: ـ[21]

1/ المثقف النخبوي ، يضم كبار رجال الدين و الكتاب والموظفين ورجال العلم والفن ،ويتميزون بالتفلسف .

2/ أشباه الموظفين ، تضم الصغار من الاداريين والموظفين .

3/ المثقفون الوسط ، يضم الأطباء والمهندسين والعسكريين والتقنين ، واساتذة المعاهد .[22]

وفي محاولة لقراءة هذه الأنماط الثلاثة ، في رواية بريد عاجل مع إمكانية تطبيقها على جنسي الرجل والمرأة في الرواية ، لنرى أي من هذه الوظائف قد أدت أدوارها ، ضمن تقسيمات المفكرين الغرب والعرب لأزمة المثقف العربي ، نقسم الأزمة ضمن هذين الجنسين الى : ـ

1ـ أزمة الداخل

2ـ أزمة الخارج

1/ تظهر الازمة الداخلية في النص الروائي ، من خلال تصوير الكاتب للذات وما يعتريها من توتر وتشظ نفسي أو فكري واضطراب اذ ، تفتقد الشخصية لليقين والاستقرار وتمر بحالة من التأزم النفسي نتيجة الاغتراب الذاتي وصعوبة التكيف مع المشاكل والمواقف المحيطة بها ، فنرى التناقض والتردد والسلبية من خلال اغراق السرد في حوارات داخلية (مونولوج) يصف فيه السارد اليأس والقلق والشك الذي يحتوي الشخصيات المثقفة

مثال ذلك (لدى خروجي من المقهى كنت مبللا ، بالذكريات المشتتة فلقد ايقظت سارة صالح بالتأكيد مواقف كنت أعتبرها طي النسيان وها أنذا أسير في متاهة شوارع لا اعرفها تائها بين الامس واليوم ولأول مرة انتبه بمثل هذا الوضوح إلى انني أعيش في (مصحة)حقا وأنني صدئ تماما معطل المخيلة أنظر الى ما يجري حولي بوصفه قدرا لا مناص منه وكأنني فزاعة ،لم تعد تخشاها الطيور حذرا وجبنا ...) .[23]

النص يشي بحقيقة البطل في صراعه الداخلي وأزمته النفسية التي وصفها السارد من خلال صحيفة التساؤلات التي جرت في مونولوج داخلي ، أسلمه للفراغ واليأس فهو في صراع داخلي مع ذاته والتزامه والسلطة المؤسسية .وهنا تكتمل صورة البطل الاشكالي في الرؤية اذ ، ان الضياع الذي تشعر به الشخصية هنا يوضح الازمة ويبرزها كأنها حجر الزاوية .

ويعاود البطل الاشكالي تارة أخرى للظهور في السرد ، عند قراءة مشهد ثان للسارد يبدو فيه المثقف في مونولوج داخلي يخاطب فيه ذات المرأة "سارة صالح " قائلا :

(هل سأكتب لها عن إحباطاتي المتكررة في الحب والعمل والشعر أم عن فشلي في تحقيق أي مشروع كنت أحلم بتحقيقه وخصوصا دراسة الإخراج السينمائي بعد ان سحب أسمي من قائمة احدى البعثات المجانية إلى موسكو لاسباب تتعلق بـ(تروتسكيتي) المتشدد كما أفهمني من رشحني للبعثة لم أكن وقتها قد قرأت " النبي المسلح " بعد ولكن الفكرة أعجبتني فأنا تروتسكي متشدد ولست ستا لينيا على أية حال ام أكتب لها انني مجرد محرر في صحيفة بائسة تم نقلي تعسفيا من الصفحة الثقافية . إلى قسم الأرشيف إثر كتابتي عبارة تخدش الحياء العام في نص عابر ..) [24]

هنا ينتقل المشهد ببراعة سردية الى تصوير الصراع في الأزمة الداخلية بين الذات والهوية كاشفا عن الصراع الفكري ومبينا في الوقت ذاته ، موقفا أيديولوجياً معقدا يستدعي عواقب خارجية ، فقوله : لست ستالينيا... فانا تروتسكيي ، يبين نوع الصراع والتمزق الداخلي الذي يعيشه . والمثقف هنا هو ذاته الذي تكلم عنه ادوارد سعيد ، في تقسيماته عن " المثقف الملتزم " فهو مميز عن السائد او الرائج كونه رافضا (الستالينية) التي جاءت رمزا للاتجاه السياسي السائد رسميا ويعلن تمسكه ب(تروتسكيته) التي بدت رمزا مواجها او متحديا للخط الأول . ف ـ تروتسكيته ـ جاءت رمزا للثورة والتمرد المستمرين وهذا يعكس افتقار البطل للاستقرار واليقين كما يكشف عن عجزه التماس طريق يصله بمن يشبهه فكريا في السياسة وهذا يظهره وحيدا في الانتماء الفكري ، ويخلق منه شخصا غير فاعل أو مؤثر اجتماعياً ، وقد بدا واضحا نتيجة هذا السلوك الفردي في الالتزام ما انتهى اليه وضع البطل حينما أشار السارد الى العواقب بـ(تم نقلي تعسفيا الى قسم الأرشيف إثر كتابتي عبارة (تخدش الحياء العام) في نص عابر ..)

هنا يبدو كم الاستلاب الذي عانته شخصية المثقف جراء التقاط تفاصيل الواقع المعاش والحياة اليومية التي تفصح عن أزمة السلطة فندخل في محور اخر لتعضيد جسور الصراع وبيان (الازمة الخارجية) المتمثلة بالدور المؤسسي وحضور العقاب "القمع " من خلال الرمز اليه بالتعسف . ان جانب الازمة يبدو من خلال تجريد المثقف من فاعليته وعزله ، وتهميش دوره وظيفيا فالبطل بلا شك يعيش في أزمتين : داخلية (على المستوى الفكري الايديولوجي) و خارجية : (على المستوى الواقعي) مع السلطة وحضور التهميش والعزل في العقاب .وهذا كله يضاعف من تفاقم إحساس المثقف بالاغتراب وضياع الحلول في الحوار .

ونذهب الى مثال أخر من الرواية للحديث عن الازمة الداخلية للمثقف ، تبدو على لسان أحدى الشخصيات قائلة :

(قالت غادة وهي تضع غطاء نظيفا للسرير اثر التعليقات التي سمعتها في سهرة الأمس لا اريد أن اشم رائحة امرأة أخرى غيري في هذا السرير) [25].

يوضح هذا النص القصير جوهر الازمة الداخلية للمثقف " غادة " ، حينما يبرز الفعل الروائي متواشجا مع القيم الأخلاقية والدور النفسي الذي تحمله بشكل يعلل التصرف الاناني للمرأة حينما تجعل الرجل كغطاء السرير جزءاً من ممتلكاتها الشخصية التي لا يمكن لأحد التجاوز عليها او استعارتها ، فتمضي في صنع غطاء أخر يحمل رائحتها وحدها ، ويحفظه في مخيلة البطل الخائن . ان الفعل السردي " تصنع غطاء " جاء حاسما في الرد فهي لا تتساءل دون رد انما تقرر بحذف الاخريات خارج مملكاتها ومحو هويتهن من " فراش الزوج " وغطاء سريره .

وهذا الحسم في اتخاذ القرار وتنفيذه يبرز من جهة أخرى الازمة الخارجية بوجود طرف ثان ولعل الصراع يبدو واضحا بين ـ الازمة الداخلية / متجسدة في لفظ الفراش ـــ " السرير " و"الغطاء " اللذان يحملان عطر نساء أخريات دون تشخيص واحدة بعينها من خلال تقييد الخطاب بقول غادة (أمرأة أخرى غيري) .والازمة الخارجية / صنع غطاء جديد وهو شيء حسي بصري له مثيرات معنوية تفصح عن مدى الازمة النفسية والذاتية التي تمر بها الشخصية في صراعها مع الاخر .

وفي مثال جديد تظهر فيه الشخصية المثقفة " رزان " خارج معيار " المثقف الملتزم "ف تنتهك بهذا قوانينه وتخرج بالأزمة الى حدود أخرى ، يعتمل فيها الصراع ،مبررة بشيء من اللباقة اعمالا توحي بالتناقض الأخلاقي مثال ذلك ما جاء على لسان أحد الشخصيات واصفا الازمة :

(رزان انها حوت مفترس حقا، وقد ابتلعت عددا لا يحصى من الرجال ،من المؤكد أنك لن تكون آخرهم.

ـ انها فنانة تشكيلية موهوبة وسوف تصمم غلافا ولوحات داخلية لديواني الجديد وربما سترسم بور تريه لي) [26]

النص يوضح أزمة نفسية ، ذاتية تبدو بشكل واضح في تصوير خطر الحوت الذي جاء كناية عن " رزان " ولا نعلم ان كان الحوت هنا تجسيدا لأزمة الانوثة الطاغية في اجتذاب الاخر المطاوع للهزيمة ، ام هو تصوير طابو غرافي لحقيقة المكان الذي جاء في دلالته مفتوحا على فضاءات أخرى ممتدة عبر مثيرات حسية أكدت تواشج صورا متعددة في تراسل واضح (بصرية حركية ،سمعية) تجسدت في الفاظ الفعل الروائي " افتراس ، ابتلاع ، تصمم ، ترسم " واغلبها تحبس طاقة الاخر في نطاق ضيق يعزز(انتصار رزان) سواء كان في جوف المفترس "الحوت او في غلاف ، لوحات ، بور تريه " .في هذا المشهد المثقف ليس بالشخص العادي هو فنان يبدع موهبته في تأسيس اقتناص هوية الاخر والاستحواذ عليه فيبدو الفن خالقا للأزمة وليس حلا لها .

2/ **الازمة الخارجية** ، وتتضح في النص الروائي من خلال تقاطعات السلطة مع المثقف فتعمل على صده وخلق المعوقات امامه من خلال الضغوط التي تفرضها بشكل مباشر أو غير مباشر ، فتعمل على تعبئة الجماهير ضده خالقة جوا مأزوما حوله لا يستطيع التكيف معه فيغيب عن التفاعل والتاثير فيمن حوله .

(كنت مضطرة أن أفعل ما فعلته وكان علي السفر فورا خارج البلاد لاسباب سأشرحها لك بالتفصيل فور وصولي الى باريس كل ما استطيع قوله الآن أن اسمي قد ورد "سهوا " في أحد قوائم المطلوبين) [27]

في المقتبس السابق من الرواية ، يظهر تجسيد النص لأ براز الازمات التي يوجهها المثقف

ذلك ان الشخصية " سارة صالح " أعلنت على لسان السارد صراحة مكان الهروب " باريس " مصورة حقيقة القمع الذي تمارسه السلطة ، فالازمة الخارجية تستمد من المحاصرة والتضييق ،كل أسباب القوة لتستمر في الضغط وتضييق الخناق على الضحية بشكل يطال حرية المثقف معلنا انهزامه .ولا بد من الإشارة الى " ان أزمة المنفى " قد سبق ذكرها في معرض الحديث عن كتاب "صور المثقف " لادوارد سعيد " وكلامه في الفصل الثالث عن المنفى "مغتربون وهامشيون " وكيف يبدو الابعاد حقيقة مرعبة كعقاب ،[28] ويظهر في النص من جانب أخر جزءا من الازمة الداخلية ، التي تشف عن طبيعة الصراع الداخلي بين حاجة الشخصية للمواجهة

وبين رغبتها في الخلاص . وقد جاء هذا بصيغة توضح الاكراه والتوتر والتمزق الذي تعانيه ... (كنت مضطرة ان افعل ما فعلته ..) فهذه العبارة تفصح بما لا يقبل الشك صعوبة تكييف المثقف مع مشاكله وفشله في المواجهة ، على الرغم من تأكيد المفكرون العرب على ضرورة المواجهة وعدم الانسحاب تحقيقا للأهداف المرجوة وتغيير واقعهم ، بالمواجهة والسعي والدفاع والمجابهة .[29]

ويظهر من خلال عنوان الرواية (بريد عاجل) ورسالة سارة صالح التي تُخبر بها (عن سفرها المفاجئ) أزمة سياسية تمثلت في صورة المرأة المثقفة و قد بدت بشكل يبعث على المفارقة عزز ذلك قولها (أسمي ورد سهوا) ودلالة حرف السين الذي يوحي بالهمس والسرية والهدوء والصمت الذي يعقب حالة الهروب وتفشي التأزم وكأن هذه السلاسة في صوت السين تمهيدا لعواقب الهرب وفشل المواجهة .

ويبدو في نص أخرمن الرواية اجتماع عدد من المثقفين باختلاف جنسياتهم حيث توحدهم هموم وازمات المثقف العربي بمختلف عناونيهم مثال ذلك :

(في اليوم ذاته الذي نشر فيه تعليقي النقدي حول قصيدة سارة صالح التقيتها ليلا في سرداب مايكوفسكي بصحبة شاعر معروف ولكنني لم أتمكن من تقديم نفسي لها كما كنت ارغب لحظتها اذ كانت الفوضى على اشدها وبالكاد اكتشفت وجودها في غابة الدخان والموسيقى الصاخب حتى أن أحداً لم ينتبه الى حضوري فهنا لا أحد يسألك عن هويتك ؟ أو اسمك وبإمكانك ان تنهي ليلتك في ركن ما من هذا السرداب المعتم الى جانب لاجئ عراقي أو معارض سوداني أو روائي جزائري استصعب الذهاب في ليل متأخر الى غرفته في الضواحي لتنشأ لاحقا صداقات تصنعها المصادفة البحتة والامزجة المتقاربة. اتخذت مكانا قصيا في الغرفة . بعد أن ملأت كأسي أرقب حركة الراقصين في الركن الداخلي . واستمع باهتمام الى النقاشات الساخنة التي تديرها سارة صالح . الى أن تقدم مايكوفسكي من سارة وهو يمد ذراعيه كي تنهض الى الرقص)) [30].

يجمع في هذا النص الروائي خيوط الصراع من خلال عرض مصادر المعرفة ووسائلها التي بدت في تنوع الحضور وجنسياتهم مجتمعين في امكنة جاذبة لهم على الرغم من ما يثيره توصيف كلمة ــ (سرداب ما يكو فسكي) ــ من ايحاء بالبعد والانزواء عن الأضواء وعن العيون والعزلة . مؤكدا ذلك على لسان السارد ـ (فهنا لا أحد يسألك عن هويتك أو اسمك وبإمكانك ان تنهي ليلتك في ركن ما من هذا السرداب المعتم) وهذا رمز و إشارة تعكس حال المثقفين من الداخل وصلاتهم بمجتمعاتهم وما ينشدون فيها من طموحات لتغيير الواقع واصلاحه ، وقد جاءت الشخصيات متتابعة على وفق استراتيجية متسلسلة من قبل الكاتب ...

1. الشخصية الرئيسة (السارد العليم)
2. الشاعر المعروف (رياض حسين)
3. اللاجئ العراقي (عواد الكاظمي)
4. المعارض السوداني
5. الروائي الجزائري
6. صاحب السرداب (مايكوفسكي)
7. شخصية نادر حسين

هذا الاختيار ،لتلك الشخصيات يعكس قصدية افشاها الروائي ، أمعانا في توطيد أواصر الانتماء بين أبناء الوطن الواحد رغبة منه في تحقيق الترابط والتفاهم ، وهم مجتمعون تحت خيمة الثقافة وتبادل الافكار والنقاشات التي تثري ملكاتهم الفكرية.

ويعود في نص أخر التأكيد على نوع الازمات التي تخلق تمزقا يؤدي بالمثقف الهروب او العزوف عن الاستمرار في محاولة التكييف قائلا :

(في ايام الافلاس حيث لا احد من الاصدقاء يملك ليرة واحدة في جيبه كانت سارة تتبرع بتحضير المائدة على طريقتها . اذ تقوم بعملية سطو بسيط . حيث نتوجه الى اقرب سوبر ماركت. ليقوم احدنا باشغال البائع كأن يطلب منه حاجة ليست في متناول يده ما يضطره الى احضارها من احد الرفوف العليا، وفي هذه الاثناء تكون سارة قد بدأت عملها بخفة نادرة فخلال ثوان تكون علبة المرتديلا قد استقرت في حقيبتها مع علبة سردين مثلا وربما دزينة شفرات حلاقة او معجون اسنان بحسب ما يتوفر على مرمى يدها فيما يكون الاخرون قد حصدوا حاجيات اخرى اقل اهمية وفي نهاية عملية السطو هذه توضع الغنائم على طاولة المطبخ) .[31]

نلحظ في هذا المقتبس السردي وبشكل واضح تضافر الازمتان (الازمة الداخلية والخارجية) في تجسيد الفعل السردي الذي ابان بدءاعن الازمة الاقتصادية واثرها في تعميق فجوة الصراع بين المثقف والسلطة . وما يترتب على ذلك من انحرافات أخلاقية تتمثل في فعل السرقة بوصفها أزمة داخلية تسوغ هذا العمل وهذا مالا ينحو اليه المثقف العضوي الملتزم الذي يدعو الى زرع القيم الصحيحة في المجتمع والدفاع عنها ، وبدا واضحا كيف دفعت هذه الحالة ـ " الفقر والعوز والحاجة "ـ الشخصيات المثقفة الى السرقة . من خلال سرد أستبطن الضغوط الاقتصادية للازمات الخارجية فهناك احتياج مادي بالرغم من الوازع الأخلاقي .

الخاتمة

شكلت الشخصية المثقفة في بريد عاجل حضورا نوعيا تمثل في الابعاد المختلفة " الاجتماعية والسياسية والثقافية " التي أبرزت أزمتها داخل الرواية بأصداء تنوعت بين الذاتي والخارجي فبالرغم من اختلاف دواعي نشوء كل منها وبواعثه ، فأنها بدت ذات صدى واضح في تشكيل وعي الشخصيات ،التي انقسمت الى قسمين الشخصية المثقفة "الرجل" والشخصية المثقفة المرأة وقد أسفر البحث عن مجموعة من النتائج :ـ

ـ جرت دراسة الازمة في رواية بريد عاجل وتطبيقها على جنسي الرجل والمرأة في الرواية ، ضمن تقسيمات المفكرين الغرب والعرب فانقسمت أزمة المثقف ضمن هذين الجنسين بحسب الوظائف التي اضطلعوا بها الى : ـ
1/أزمة الداخل 2/ أزمة الخارج من خلال عينات إجرائية .

ـ أوضح التباين في جنس الشخصيات " الرجل / المرأة "في رواية بريد عاجل عن أزمة نفسية بلورت أثر السمات العملية لتلك الشخوص في تقييد ادوارها بإشكال تعددت لتضم مثقفي الوطن العربي وفي هذا نزوح عن مقصدية واضحة في اختيار شخصية الرجل التي جاءت متسلسلة ومتتابعة وفق منحى خطي أرسى بذور ذلك الاجتماع لهذا اللفيف من مثقفي الوطن على اختلاف مشاربهم ونوازعهم النفسية تحت مسمى الثقافة.

ـ افصح السرد في اكثر من مرة عبر السارد العليم عن "تفاقم ازمة المثقف العربي في وطنه " حيال الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية وما ترتب على اثارها من " أزمات داخلية وخارجية " بوصفها مشاكل رزخ بها تحت أعباء الحياة فكونه يعاني الفقر والفاقة والعوز والافلاس دفعه للسخرية والشعور بالإهانة والضياع في وطنه فولد ذلك أزمة نفسية تظهر في عدم تقبله المحيط حوله.

ـ كشفت الصراعات الداخلية والخارجية في شخصية المثقف العربي عن أزمة المثقف والسلطة فاسفرت عن الاغتراب كرد فعل عن الاوضاع السياسية والاقتصادية ودورها في تجسيد الاستلاب والرفض وما تداعى الى ذلك من نفور الابناء عن اوطانهم وهذه رسالة لحقيقة الازمة التي يعانيها الشباب العربي .

ـ ابانت اختيارات السارد في حديثه عن وجوه المرأة المثقفة في "بريد عاجل" عن ادوار قد تكون تقليدية في بعضها فيما يخص ازمتها الذاتية وافتقادها الاهتمام الذي يدفع بها للبحث عن الحب خارج حدود العلاقات السليمة . وهذا قد يبدو بشكل واضح في نموذجين للمرأة المتحررة المثقفة والاخرى الادبية والفنانة التي ترفض المشاركة وان كان الامر واقعا يحصل بشكل متكرر وتجسد ألية الرفض هذه عن ازمة نفسية وذاتية قد تتغلب المرأة عليها

من خلال "الاشارات اللغوية " التي تمثلت في احاديث تستبطن حوار النفس ورغباتها واحلامها في وهم الاستقرار.

ـ ربما ينحو الكاتب في اختيار اسماء شخوصه النسائية المثقفة منحى ذي بعدٍ ثقافي الاول يبدو في وعيه باختيار اسماء قديمة " سارة و بثينة و ريم " ،او حديثة " رزان وغادة " التي صاغت عبر آلية الوصف ـــ سرد اغراءات الانثى للرجل وتلاعبها في تخليق أزماتها الحاضرة ـ التي ابانت عن شفافية الفن في التعبير عن هذه الحوارية بين الانثى والاخر.

ـ قد يشير العنوان الذي انتقاه الكاتب " بريد عاجل " عبر دلالته الاسمية الى تجدد واستمرارية حاجات الافراد في المجتمع ـــ" اناثا وذكورا " كشخصيات فاعلة ـــ الى وعي دقيق بواقع الازمات التي تحيط بالمثقف والتي تحتاج الى اجابات عاجلة في بريدها اليومي المملوء بما يحيط عوالمها، من مخاوف واشكاليات لم تتبدد حينما فعلتها تلك المشاعر التي انتهت بها الرواية في خاتمتها ـــ كدالة مقاربة للعنوان ـــ مصورة حالة من الضياع والالتحام بالواقع حيث ظهر البطل صاغرا وهاربا من نفسه ليقوده ذلك الى حالة من الدهشة والمفارقة الواضحة والرغبة في تفتيت وحل تلك المشاكل التي تواجه الافراد في مجتمعاتهم .

هوامش البحث

(1) ينظر لسان العرب ولب لباب العرب، أبو الفضل جما1330اهـ المطبعة الحسينية، مصر، ل الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، ط1 ، تحقيق علي شيري ، دار أحياء التراث ، 1/ 738، وينظر القاموس المحيط ، الفيروز ابادي ، باب الهمزة وينظر على سبيل المثال لا الحصر ، https://qamus.inoor.ir/ar

(2) ينظر ، الازمة https://hnsa3dak.com/

(3) ينظر ، آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة ، فؤاد زكريا ، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة ، 2019، ص،11-17 .وينظر أيضا ، تغيير العالم ،د أنور عبد الملك ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1985.ص، 139.

(4) ينظر، درس السيميولوجيا ، تر ،عبد السلام بنعبد العالي ، تقديم عبدالفتاح كليطو، دار توبقال الدار البيضاء المغرب، ط1 1993، ص 42

(5) ينظر، الفلسفة القارية، مقدمة قصيرة جداً، سايمون كريتشلي، ترجمة: احمد شكل، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، 76-77 .

(6) ينظر المنهج التكويني – من الرؤية إلى الإجراء، د. رحمن غركان، مؤسسة الانتشار العربي ط1، 2010 ، 112-113.

(7) ينظر، معجم السرديات ، مجموعة من الباحثين ، اشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010.ص 271.

(8) ينظر نصوص (أبو يزيد البسطامي)- دراسة تفكيكية -، عامر جميل شامي الراشدي ، أُطروحة دكتوراه في فلسفة الأدب العربي بإشراف الأستاذ المساعد د. عبد الستار عبدالله البدراني، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم اللغة العربية،43.

(9) القرآن الكريم ، سورة البقرة 191 ، الاحزاب ،61، النساء ،91،الممتحنة ،2،الانفال 57 ،ال عمران 112 .

(10) ينظر لسان العرب.، ابن منظور ، 1988 ،ط1 ، تحقيق علي شيري ، دار أحياء التراث مادة "ثقف"، وانظر أيضاً مادة "ثقف" في ، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، 1330اهـ المطبعة الحسينية، مصر، ج3، ص 121.

(11) ينظر، مجمع الامثال ، ابو الفضل الميداني ، ت محمد محي الدين عبد الحميد ،دار النصر ، دمشق ،ص 158

(12) ينظر ، https://www.almaany.com/، معجم المعاني الجامع ، تعريف ثقف

(13) ينظر. صور المثقف ، محاضرات ريث سنة 1993، نقله للعربية غسان غصن ، مراجعة منى أنيس ، بيروت 1996 ، ص،22

(14)Antoniogramsci.the prison Ntebooks:SelectionsK trans,Quuintinhoare Get frey New York 1971 .p 922 ، نقلا عن المصدر السابق ص

(15) صور المثقف مصدر سابق ، 39 ، 56،57

(16) ينظر ،عن المثقف والثورة، عزمي بشارة ، مجلة تبيين، ع 4، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013 ، ص 3

وانظر ايضا ، المثقف العربي والسلطة، نادين الأنصاري ، مجلة الوحدة العدد، 10 يوليو 1985 ، ص 13

(17) ينظر، المثقفون العرب والغرب، هشام شرابي- دار النهار، بيروت، 1971، ص 16، وانظر أيضاً المثقفون والتقدم الاجتماعي، ، مجموعة من الباحثين، ترجمة: شوكت يوسف، وزارة الثقافة، دمشق 1984، 43.

(18) ينظر ماهية المثقف العربي مجموعة كتاب ، الموسوعة الإسلامية https://www.balagh.com/gallery/categories

(19) ينظر ، المثقف العربي والإلتزام الإيديولوجي، ، أحمد مجدي حجازي ، مجلة الوحدة ع 40، سنة 1988، ص23
(20) ينظر، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية ، محمد رياض وتار ، 138. 43 ، 170 .
(22) ينظر، المثقفون والتقدم الاجتماعي، مصدر سابق ص 27.
(23) بريد عاجل ، خليل صويلح ، دار نينوى للدراسات والنشر ودار رفوف للنشر والتوزيع ، ط 3 ، سورية ، د ت ، ص، 42 .
(24) المصدر السابق ، 46
(25) المصدر السابق ، 45 .
(26) المصدر السابق ، 61 .
(27) المصدر السابق ، 66 .
(28) ينظر، صور المثقف ، مصدر سابق ،ص 57 .
(29) ينظر ، المصدر السابق 37، 38.
(30) ينظر بريد عاجل ،مصدر سابق ،ص 37، 38 ،
(32) ينظر ’المصدر السابق ، ص44 .

المصادر

- القران الكريم
ثانياً- المراجع
2. آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة ، فؤاد زكريا ، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة ، 2019.
3. بريد عاجل ، خليل صويلح، رواية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2015.
4. تغيير العالم ،د أنور عبد الملك ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت.
5. درس السيميولوجيا ، رولان بارط تر ،عبد السلام بنعبد العالي ، تقديم عبدالفتاح كليطو، دار توبقال الدار البيضاء المغرب، ط1 1993
6. شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، عبد السلام محمد الشاذلي ، 1985 188-1952 ط1- دار الحداثة، بيروت
7. شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، دراسةمحمد رياض وتار ، منشورات اتحاد الكتاب والادباء العرب، سورية- دمشق، ط1، 199.
8. صور المثقف ، محاضرات ريث سنة 1993، نقله للعربية غسان غصن ، مراجعة منى أنيس ، بيروت 1996 .
9. الفلسفة القارية، مقدمة قصيرة جداً، سايمون كريتشلي، ترجمة: احمد شكل، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد.
10. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، 1330اهـ، المطبعة الحسينية، مصر.
11. لسان العرب ط1،-ابن منظور، 1988 تحقيق علي شيري- دار إحياء التراث العربي، بيروت.
12. مجمع الامثال ، ابو الفضل الميداني ، ت محمد محي الدين عبد الحميد ، دمشق .
13. المثقفون العرب والغرب، هشام شرابي- دار النهار، بيروت، 1971.
14. المثقفون والتقدم الاجتماعي، تر: شوكت يوسف- وزارة الثقافة، دمشق ، 1984.
15. معجم السرديات، محمد القاضي ،مجموعة من الباحثين، إشراف: محمد القاضي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010
16. المنهج التكويني من الرؤية إلى الإجراء، د. رحمن غركان ،مؤسسة الانتشار العربي ط١، 2010 .

المجلات والدوريات الالكترونية :-

17. الازمة ، أعداد أسماء علي، https://hnsa3dak.com/.
18. ماهية المثقف العربي مجموعة كتاب ، الموسوعة الإسلامية https://www.balagh.com/gallery/categories
19. المثقف العربي والسلطة، نادين الأنصاري ، مجلة الوحدة العدد، 10 يوليو 1985 .
20. معجم المعاني الجامع https://www.almaany.com.
21. المثقف العربي والالتزام الأيديولوجي،-حجازي. أحمد مجدي، 1988 مجلة الوحدة، العدد 40
22. عن المثقف والثورة، عزمي بشارة ، مجلة تبيين، ع 4، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.

الرسائل والاطاريح:

23. نصوص (أبو يزيد البسطامي)- دراسة تفكيكية -، عامر جميل شامي الراشدي ، أُطروحة دكتوراه في فلسفة الأدب العربي بإشراف الأستاذ المساعد د. عبد الستار عبدالله البدراني، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم اللغة العربية، جامعة الموصل، 2012